ذلك الاّ في ان عادات آبائهم هذه رسخت فيهم على طول الايام فصارت مثلاً او غريزة تتوارث في ابنائهم ينزعون اليها ويرون من انفسهم حبها لغير سبب مني وصلوا سنًّا معلومًا وهذا لا ينكرهُ الاّ المتعنّت او الجاهل ومن المعنا اليوم في الكلام عن الخصوصيات الفطرية ولكن من المشاهدات ان العوائد في الاباء قد يظهر الميل لها في البنين وان لم يتكرر اجيالاً وذلك في كل عادة حصل معها اخيرًا انحراف في الغاذية فاكسبت المعتاد مزاجًا خاصًّا فان هذا الانحراف قد يظهر في اول الاعتياد ويستحكم اذا انتقل عنهم او ثلاثة بل ويزيد في الابناء عما كان في الاب الاول حتى يصعب معالجتهُ والتخلص منهُ ولو اتخذت لذلك كل التحفظات وكل المداراة الصحيّة ومثل هذا كمن يعيشون في الاماكن الرطبة ذات الهواء الفاسد ويلزمون حالة السكون وعدم الرياضة فان اعتيادهم كل هذا قد يحدث فيهم انحرافًا في الغاذية عن حالتها الصحيّة لكن قد لا يكون هذا الانحراف يشعر بهِ في بادىء الامر الاّ ان ينتقل عن المعتاد الى عنبهِ وفي هذا اذا ولد على البيئة التي كان والدهُ عليها كان الاستعداد فيهِ لهذا الانحراف خلقيًّا فيستحكم لاقل زمان بعد ولادتهِ وتظهر فيهِ آثارهُ واذا استمرت البيئة ونوع المعاش زاد الانحراف قوة واستحكامًا ثم في بنيهِ من بعدهِ حتى يرسخ في انسالهم على اشدهِ فيصبح فيهم تراثًا لا يزول بعدها ولو زالوا عن بيئتهم الاولى وعن التراث على ان ما ذكرناهُ قد يخفى الاّ على الخاصة فلا يتنبه لهُ العامّة

اصلاح المدارس

او اسلوب جديد للتعليم

طالب الحقيقة يأخذها اينما وجدها سواء جاءهُ بها الشرقي او الغربي وسواء رآها متوشحة بحلى البلاغة والبيان او عطلاً من الحلى ولبس عليها شيء من صنعة انسان. وقد علمنا بالخبر والخبَر ان سمو ولي النعم خديوينا المعظم ودولة رئيس نظارهِ وعطوفة ناظر المعارف العموميّة ساعون نحو غاية واحدة وهي نشر المعارف واصلاح المدارس لكي تأتي بهذه الغاية على اسهل سبيل

واصلاح المدارس لفظ وجيز ولكن تحتهُ معانٍ كبيرة وغايات سامية سعى اليها اكبر رجال العلم والسياسة منذ اكثر من مئة سنة ولم يزالوا يسعون سعيًا حثيثًا

ووضعوا في فن التعليم كتباً جليلة ومن اشهرها كتاب للفيلسوف هربرت سبنسر . وقد اتفق لاحد الاساتذة الكبار الذين قرنوا العلم بالعمل ولم تأخذهم في نصرة الحق لومة لائم ان استخدم طريقة سبنسر في مدرسة كبيرة من مدارس اميركا فتكللت اعماله كلها بالنجاح . وقد عزمنا الآن على تفصيل الاسلوب الذي جرى عليه فيسطناهُ في ما يأتي عسى ان يجد فيهِ الذين يهدم نظام المدارس ما يشدد عزائمهم على اصلاحها او يرشدهم الى الطرق التي يجب اتباعها فتعمّ الفائدة وهي غايتنا الاولى من كل ما ننشرهُ في المقتطف

قال الكاتب : دعيتُ عام ١٨٧٣ لادارة مدرسة المعلمين (اكول نورمال) التي أُنشئت حديثاً في ودنسبرج . فقابلت احد اعضاء اللجنة التي دعتني الى ذلك وقلتُ لهُ لو عرفت اللجنة شروطي التي اشترطها ما دعتني لادارة هذه المدرسة . قال وما هي شروطك قلتُ ان اكون مستقلاً في المدرسة لا يعترضني في اعمالي احدٌ من المنتشين ولا من المديرين . فقال اذًا انت هو الشخص الذي نطلبهُ ولكن لا يخفاك انَّ كلَّ حرٍّ مسأول عمَّا يفعل فأعطنا ثمرات جيدة ولك الخيار في اتباع الطرق التي تختارها . فتمَّ الاتفاق بيني وبين اللجنة واستلمت رئاسة المدرسة والحال شرعت في تنظيم دروسها بان استحضرت لوائح (بروغرامات) بعض المدارس الشهيرة واخذت منها الدروس اللازمة ورتبتها ترتيباً بني عقل التلميذ حتى لا يأتيهِ درس الاَّ حينما يكون عقلهُ قد استعدَّ لهُ وقسمت العلوم كلها الى قسمين كبيرين وقسمين صغيرين اما القسمان الكبيران فاولها قسم العلوم الطبيعية ويبتدئ بشرح صفات الاجسام الظاهرة ويتدرَّج منها الى القوى والنواميس الطبيعية وهو يشمل علم الطبيعة وعلم الكيمياء . وثانيهما قسم الانسان وعلاقاتهِ وهو يبتدئ بشرح احوال الانسان كمعمّر لهذه الارض ويتدرَّج الى علم الجغرافيا فالتاريخ فنظام المالك فالفلسفة العقلية فالادبية فالبلاغة فالمنطق فالاقتصاد السياسي . والقسمان الصغيران هما اللغة والرياضيات اما اللغة فعوَّلتُ في تعليمها على تمرين الطلبة في الانشاء اولاً ثم اوصلتهم من ذلك الى استنتاج فنون الصرف والنحو والتصريف والتفكيك اعتقادًا مني ان اللغة وجدت قبل صرفها ونحوها فيجب ان تعلَّم قبلها

ثم اخترتُ الاساتذة الذين علمتُ بالاختبار انهم يحبون طلابي ويبلغوني غايتي واجتهدت غاية جهدي ان لا يكون بينهم اختلاف في الراي ولا في المقصد لان اختلاف الاساتذة خراب المدارس . وجعلتُ الدروس التي تدرَّس كل يوم متقاربة

في موضوعها ما امكن حتى يشرح بعضها بعضاً ويعزّز بعضها بعضاً

وكان عدد التلامذة في اول الامر سبعة عشر تلميذاً فازداد رويداً رويداً حتى بلغ اربع مئة . وابتدأنا الدروس على هذه الصورة — نبّهنا التلامذة الى ما يرونه في الحقول والمروج التي امامهم وجعلنا نذاكرهم في صفات ما فيها وطبائعه حتى علموا من ذلك كل ما امكنهم علمهُ بدون كتاب ثم اعطيناهم كتباً تشرح اوصاف ما رأوهُ فجعلوا يقابلون بين معارفهم وبين ما هو مقرّر في تلك الكتب . وبعد ذلك جعلنا ندرّسهم علم الحيوان والفسيولوجيا بالنظر الى الحيوانات وتشريحها ومراقبة طبائعها واستقصاء خواص اعضائها فرغبوا في هذين الفنين رغبة شديدة والتهموها التهاماً كل ذلك ولا كتاب في يدهم . واراد احد الاساتذة ان يمتحن الفرق بين هذا الاسلوب واسلوب التدريس من الكتاب فعيّن للطلبة فصلاً من كتاب في علم الحيوان يصف حيواناً عجيباً وامرهم ان يحفظوهُ غيباً فحفظوهُ . وبعد بضعة ايام احضر لهم الحيوان المذكور محنوطاً في الاكمول ووضعهُ على المائدة امامهم فلم يعرفهُ احدٌ منهم كأن كل ما حفظوهُ من الكتاب من وصف هذا الحيوان لم يكن كافياً لرسم صورتهِ في اذهانهم مع انهُ لو اراهم اياهُ دقيقة واحدة لرسخت صورتهُ واوصافهُ سنين كثيرة . وعلّمنا علم النبات على هذه الصورة فكان الاستاذ يجول معهم في البساتين التي حول المدرسة يشرح لهم اوصاف النباتات وخواصها المختلفة بدون ان يكون معهم كتاب

وعلّمنا علم الطبيعة بان اتينا بالتلامذة الى قاعة الطبيعيات واخذ الاستاذ يصنع معهم الاجهزة التي تظهر بها خواص الاجسام والقوى الطبيعيّة . والهندسة درّسناها مع تدريس علم الرسم وبناء الآلات كأنها من لوازمها وكنا نعتمد على الرسم في كل العلوم فنطلب من التلميذ ان يعبر عن افكاره بالرسم كما يعبّر عنها بالكلام . وعند الاجابة بالكلام كان يُطلب منهُ ان لا يكرّر عبارة مكتوبة في كتاب بل ان يبرز المعنى بعبارة يصيغها هو فنوّبتْ في التلامذة قوة الاختصار والتعبير عما في نفوسهم باوضح عبارة . وكنا نعتمد على الكتابة كثيراً فاوجبنا على كل تلميذ ان ينشئ شيئاً ولو مرة في الاسبوع وكل التقريرات العلميّة كنا نطلبها منهم كتابةً فلم يمضِ الاّ وقت قصير حتى صار يسهل على كلٍّ منهم ان يفكر والقلم في يدهِ . ولم نكن ننتقد شيئاً ينشئهُ التلامذة بل نتركهُ على عواهنهِ لاننا علمنا بالاختبار ان تنبيه قوة الانتقاد قبل ان تستكمل قوة الانشاء حقها من النمو يضعف قوة الانشاء وعيبها . وبما ان معارف

الطالب اللغوية والعقلية تزيد يومًا فيومًا فهو ينتبه الى اغلاطهِ الاولى ويصلحها من نفسهِ

ودرّسنا مع الفلسفة العقليَّة والادبيَّة على اسلوب بديع وهو ان استاذ العقليات بيّن لهم علاقة المعرفة بالعقل وتغيُّر افعال العقل بتغير الشؤون ثم شرع في العلم العملي بان اخذ زهرةً مثلاً وشرّحها بحسب قواعد علم النبات وطلب منهم وصفها قانونيًّا وجعل يسألهم عن القوى العقلية التي استُعملت في وصف تلك الزهرة. ثم رسم لهم قضية هندسية وطلب منهم ان يبرهنوها وبعد ذلك اخذ يسألهم عن القوى العقلية التي استخدمت في برهانها. والتفت الى اعمال البشر المختلفة كزرع النبات وبناء البيوت وطبخ الطعام وكان يسألهم عن القوى العقلية التي تستخدم في جميع هذه الاعمال

وكانت الفلسفة الادبية نصيبي فلم استخدم كتابًا بل جريتُ على اسلوب استاذ العقليات وذلك انني ذاكرت التلامذة عدة اسابيع في العلاقات التي بين الانسان وغيرهِ من افراد نوعهِ فظهر لهم ان البشر متساوون في الحاجات ولذلك فهم في عين الشريعة سواء لكي يباح لهم الماء والارتفاء الطبيعيان على حدٍّ سوى وظهر لهم ان الحاجات تولّد الحقوق والحقوق تولّد الواجبات والواجبات على نوعين سلبيَّة وايجابيَّة والاولى علَّم بها كنفوشيوس الصيني والثانية علَّم بها السيد المسيح

ثم التفتنا الى كثير من المسائل العمومية مثل لماذا يجب على الانسان ان يعمل وماذا يجب ان نفعل بالمحتاجين والايتام والعواهر وهلمَّ جرًّا وكنت اطرح هذه المسائل على الطلبة ليتباحثوا فيها. وذات يوم طرحتُ عليهم مسئلة لعب الورق فقال احد الطلبة انهُ مضرٌّ لانهُ يقود الى المقامرة ومعاشرة من لا تحسن معاشرتهُ وقال آخر انهُ لا يرى منهُ ضررًا اذا لعب الانسان مع اهل بيتهِ لمجرد التسلي فقلت لهما يظهر لي انكما مختلفان فما هو سبب اختلافكما فاجابني تلميذ ثالث فهم انهما مختلفان لان ليس عندهما من الادلة ما يقوّم حكمًا في المسئلة. وكانت النتيجة انهُ يجب على الانسان ان يدرس المسألة درسًا مدققًا بكل فروعها حتى يمكنهُ ان يحكم فيها ايجابًا او نفيًا

ومن اغرب ما تمتاز بهِ هذه المدرسة ان ليس فيها قوانين من قوانين المدارس ولا علامات ولا شيء من ذلك بل يعيش التلامذة مع الاساتذة كاهل مدينة واحدة تجمعهم جامعة الوطنية والمصلحة او كاهل بيت واحد ومع ذلك كانت آداب التلامذة ترتقي يومًا فيومًا باشراق انوار العلم على عقولهم وارشادهم في دروسهم العقلية والادبية والمدنية الى واجباتهم بعضهم نحو بعض. ويظهر ذلك من الحادثتين التاليتين

الاولى ان تلميذًا دخل المدرسة وكان مستخدمًا في السكة الحديدية ورأيتًا على اخلاق فاسدة فلم يلبث طويلاً حتى ظهرت اطوارهُ ولكنهُ كان اذا قص قصة سخيفة لا يجد من يسمعها واذا اعترض لاحد الطلبة الصغار ليجرهُ الى الخصام اتاهُ احد الطلبة الكبار وانتهرهُ بكلمة ادبية فيخجل وينصرف ولما رأى ان الجميع معرضون عنهُ ترك المدرسة ولم يعُد اليها . وسرّني ذلك جدًّا لانني خفت ان يعدي الطلبة كما يعدي السليمَ الاجربُ

الثانية اننا لم نكن نحظر على التلامذة شرب الدخان ولكننا كنا نبين لهم اضرارهُ كما هي وبينما في المدرسة بناء جديدًا فرأيتُ فيهِ مرةً أثرًا لرماد الشبغ فامرتُ الخدم بكنسهِ وغسل مكانهِ بالماء والصابون ثم فركهِ بورق الزجاج لكي لا يبقى للشبغ اثر فيهِ فاثّر ذلك في عقول الطلبة اي تأثير . واستاذ الفسيولوجيا جعل الطلبة يستقصون افعال التبغ كلها ويبينون كل مضارهِ . وذات يوم كنت واقفًا مع بعض التلامذة ودارَ الكلام على خلوّ المدرسة من القوانين فقال واحد وكان قد أتى المدرسة حديثًا انني فهمتُ انهُ لا يباح لاحد شرب الدخان ضمن ابنية المدرسة فقلتُ لهُ ليس عندنا قانون مدرسي يمنع ذلك ولكن ما من رجل يحب ان يكرم غيرهُ ثم يبت في الغرفة التي هو فيها رائحة يكرهها . وانا وكثيرون غيري يكرهون رائحة التبغ فلا يحسن الباقون ان يدخنوا في حضورنا ولا ان ينشروا في المدرسة رائحة نكرهها . واربعون من الطلبة تركوا التدخين من انفسهم

وما خالفنا فيهِ المدارس كل المخالفة الامتحانات العمومية فاننا رأيناها تدعو التلامذة الى تعلم اشياء كثيرة لا منفعة منها والى اجهاد القوى العقلية في الدرس قبيل ايام الامتحان اجهادًا يضرُّ بها

وقد كانت غايتنا الاولى ان نستخدم العلوم والمعارف لتثقيف عقول الطلبة وتهذيب اخلاقهم فكانت النتيجة فوق ما انتظرنا . انتهى

تلفون الغوّاصين

استنبط تلفون يضعهُ الغوّاص في باطن الخوذة التي يضعها على رأسهِ حينما يغوص في الماء فيتكلم بهِ ويسمع كلام مكلميهِ الذين في السفينة على سطح الماء بدون ان يحرك يديهِ لان جزءًا من هذا التلفون امام فمهِ وجزءًا آخر امام اذنيهِ داخل الخوذة